التقاطع السعودي ـ المصري في مسار التسوية

في طهران كان جس نبض الموقف الايراني

ومعرفة رأي العاهل الاردني

التسوية

فيما يصل السادات الى ذروة الطرق المسدودة امام محادثاته مع العدو الصهيوني ، ويؤكد بيغن على ان « اسرائيل » ليست على استعداد لان تعطي مصر اي شيء مقابل لا شيء !! ينتقل حسني مبارك من اقصى المغرب العربي الى العاصمة الايرانية ليلتقي الشاه ، ويتباحث مع الملك الاردني الذي يقضي اجازة قصيرة هناك ، ويتجول ولي العهد السعودي في عواصم عربية مختارة يقتفي فيها اثار المبعوث الامريكي اثرتون الذي تلتقي عنده الخيوط ويحاول بدوره ان يرمم الجسور العربية ـ العربية ، والعربية ـ الصهيونية لكي يعبر عليها بسلام ونجاح وزير الخارجية الامريكية القادم في الاسبوع الاول من هذا الشهر ، وامامه كرة سريعة تمررها اقدام بعضها ، يملك صاحبها وضوح كامل لطريق المرمى ، في حين تسيطر على البعض الاخر غشاوة قد تقوده الى خارج الملعب ، وتفرض عليه الهزيمة في مباراة حرم من دخول بعض اشواطها.

السادات المحاور المشلول

حقل الاسبوع الاخير من شهر تموز بسلسلة خطابات ومؤتمرات صحفية القاهـا السادات واستمرت حتى اوائل هذا الشهر ، اتسمت جميعها باظهار السادات « امتعاضه » من « بيغن » واستيائه من « تعنته » تجاه المشروعات التي تقدم بها السادات بما فيها ذلك الاخير الذي حمله معه الى « فيينا » . ولكن ، وعلى الرغم من كل ذلك فان الرئيس المصري يستمر في التشبث « بالمبادرة المقدسة » ويواصل حقنها بامصال اعادة الشباب ، املا في تجديد قدرتها على الوقوف امام عواصف عاتية تهب عليها من اكثر من اتجاه .

ويحاول السادات اقناع نفسه ، وايهام الرأي العام بان العقبة التي تحول دون الوصول الى « جنة السلام » انما تنحصر فقط في رئيس الحكومة « الاسرائيلي » ، وفي نهجه العدواني مستثنيا من ذلك بعض اطراف المعارضة وابرزها شمعون بيريز الذي عرض عليه السادات ـ وحسب اقواله ـ اثناء محادثات سالزبورغ البدء بحوار سري في نفس الوقت الذي تجري فيه الاتصالات الرسمية .

وفي هذا الاتجاه يحلو للرئيس المصري ان يدعي لنفسه تحقيق تمزق في صفوف المؤسسة الصهيونية لكنه سرعان ما يكتشف ! ان « وباء » التعنت مستشري في كافة اجهزتها بما فيها المعارضة التي لم تتقدم حتى الان بمشروع للتسوية يختلف في جوهره وافاقه التاريخية عن تلك المشروعات التي تقدمت بها الكتل الاكثر تصلبا وفي مقدمتها الليكود . وحين يصطدم السادات بهذه الحقيقة المرة ، تطفي على مواقفه اللفظية صيغة التشنج والانفعال فيختار بدوره الالفاظ ذات المعاني المتصلبة كقوله « ان مصر ترفض رفضا باتا قرار مجلس الوزراء « الاسرائيلي » بعدم اعادة سيناء او اي جزء منها الى مصر » .

هذه النخوة الساداتية مؤقتة ، ولا تلبث ان تتلاشى امام النهج الاستسلامي الذي يسير عليه ، فتراه بعد هذا الموقف اللفظي المتشدد يعود ليؤكد انه على الرغم من رفضه عقد لقاء مصري ـ صهيوني في سيناء الا انه على استعداد لتأييد ذلك « اذا تم الاتفاق بطريقة غير رسمية على ان الارض والسيادة هي خارج اية حلول وسط ، واذا ما كانت « اسرائيل » مستعدة للجلوس ومناقشة الجانب الامني » .

قنطرة التضامن العربي

وبالقدر الذي يؤكد السادات على ان « المبادرة » ماضية في طريقها ، نلمس ان خطوانه تكشف عن استعدادات يقوم بها تهيؤا للعمل فيما لو تكشفت كل الامور بشكل اكثر وضوحا ، واعترف الطرفان المصري والصهيوني بفشل المحادثات الثنائية . فالجولات الاخيرة التي قام بها حسني مبارك وابراهيم كامل ، واللقاء مع فهد بن عبد العزيز جميعها مؤشرات تؤكد ان صانعي سياسة « التضامن العربي » قد نفضوا عن معدانه الغبار الذي غطا بعضها منذ زيارة السادات الى العدو الصهيوني . كما ان اعلانه عن توقف اللقاءات المباشرة مع « اسرائيل » ، واشارته ان ما استجد من عوامل على السياسة « الاسرائيلية » جميعها ذات اتجاه سلبي ، هي الاخرى تصب في طاحونة اقامة اعمدة قصر « التضامن العربي » .

وكانت طهران محطة مهمة في هذا الصدد ، فحسني مبارك صرح عشية وصوله اليها انه سيبحث مع الشاه امور تتعلق بشؤون الشرق الاوسط ، ويحفر امامنا في هذه المرحلة الدور الايراني الذي سبق توقيع اتفاقية سيناء عام ١٩٧٥ ، واستمر الى يومنا هذا . فالشاه يطمع في تضخيم الدور الذي يلعبه في الشرق الاوسط ، ولذلك عرض استعداد بلاده تعويض « اسرائيل » عن نفط حقول سيناء ، مقابل اعانة السادات في مشروعات تعمير مدن القناة ، ويكون نتيجة ذلك الوصول الى تسوية ثنائية ، وثمنها المزيد من النفوذ الايراني في الخليج العربي ، وزيادة لتدخلها في الاوضاع الداخلية للامارات الخليجية .

زاد من اهمية طهران ، تواجد الملك حسين فيها ، الذي سبقت لقائه مع حسني مبارك معلومات سربتها شخصية اردنية مسؤولة عن اتفاق مصر والاردن على موقف مشترك من المبادرة الدبلوماسية الامريكية في الشرق الاوسط . وفي ذات السياق كان الاردن قد ابلغ المندوب الامريكي اثرتون ان تعهد « اسرائيل » بالانسحاب من الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ يجب ان يسبق اشتراكا محتملا للملك حسين في مفاوضات السلام التي يجب ان تتركز على قضايا الامن .

وفور عودته من طهران وبعد استمزاج الرأي الاردني التحق مبارك بالوفد المصري ليحضر اللقاء المصري ـ السعودي برئاسة السادات وفهد . وقد اعطي اللقاء اهمية خاصة ذلك لانه الاول من نوعه وبهذا المستوى منذ « المبادرة » .

وفي هذا اللقاء برزت تقاطعات السياسة المصرية ـ السعودية الهادفة الى العمل معا قدر الامكان بما يعزز اوضاع القوى الامبريالية في المنطقة ، ويقوي من ركائزها وحلفائها المحليين . فالسادات الذي يكاد ان يصاب بالشلل السياسي خاصة اذا استمر في السير وحيدا في محادثات ثنائية في اشد الحاجة الى حبل نجاة عربي . والسعودية افضل من يسعفه بطوق النجاة المطلوب ، الذي لا بد وان يدفع ثمنه سلفا .

فمقابل حفظ وجه ماء الوجه للرئيس المصري ، واعفائه من حديث صريح وعلني يعترف فيه بفشل المبادرة ، وهو احد شروط بعض اطراف التسوية ، الذين يأخذون عليه استفراده بالمحادثات ، ويعتبون عليه لضآلة مردوداتها له .. مقابل ذلك لا بد وان يعطي السادات السعودية مزيدا من فرص الاستثمار الاقتصادي ، وحيزا اكبر في خارطة الصراعات السياسية في الساحة العربية ، وهي بحاجة الى ذلك اذا كانت تود ان تخوض معركتها التي يحتمل ان تبدأ ضد اليمن الديمقراطية حيث تتناقل وكالات الانباء وجود حشودات عسكرية سعودية ، او مرتزقة تقوم هي بتمويلهم على الحدود اليمنية الجنوبية .

ومن الطبيعي ان تنظر الرياض بعين الريبة والحذر الى الاتصالات المصرية ـ الايرانية ، فاي اتفاق بين الطرفين لا بد وان تكون محصلته على حساب السياسة السعودية ، وضد المكاسب التي تمني نفسها بالحصول عليها .

ولكي تطوق الرياض اية محاولة مصرية من هذا القبيل فمن المحتمل ان تدعو لمؤتمر قمة مصغرة شبيه بذلك الذي عقد في الرياض ، تضع من خلاله اسس العودة الى التضامن العربي ، الذي تضع به الجميع امام اطار محدد يصعب الخروج عليه او الافلات منه .

حسابات « اسرائيل »

مقابل هذا التخبط العربي ، المتأرجح بين التشدد اللفظي ، والاستسلام الفعلي ، نلمس الموقف الواضح الاهداف لدى العدو الصهيوني ، النابع من الطبيعة العدوانية للحركة الصهيونية ، والمنسجم مع نهجها التوسعي ، والهادف الى فرض الكيان على الامة العربية .

السادات :

الباحث عن حل واللاهث وراء سراب

فبيان مجلس الوزراء « الاسرائيلي » ، وليس تعنت بيغن ، كما يتصور السادات والدائرون في فلكه ، يقول « ان « اسرائيل » غير مستعدة لاعطاء مصر اي شيء مقابل لا شيء » ومع ذلك لا تكف « اسرائيل » عن دغدغة احلام السادات ، والتلاعب باوهامه بشأن مرونتها ، وهذا يفسر الترويجات التي تقوم بها مؤسساتها الاعلامية مدعية اعطاء دايان بعض التنازلات اثناء محادثات ليدز تمثلت ـ حسب ادعاءاتها ـ في موافقة « اسرائيل » على التفاوض بشأن حل وسط اقليمي بالنسبة للضفة الغربية ، وموافقتها على بحث مشكلة من سيحكم اراضي الضفة الغربية والقطاع بعد انتهاء الفترة الانتقالية وموافقتها على التفاوض حول عقد مشروع سلام ثنائي مع مصر مقابل انسحاب اسرائيل من العريش .

محصلة ذلك « التنازل » !! هو الموافقة على المفاوضات وهو ليس بالشيء الجديد ، وليس فيه ما يمت الى التنازل بصلة . فهذا هو موقف العدو الصهيوني منذ « المبادرة » كما جاء في الخطاب الذي القاه مناحيم بيغن ردا على خطاب السادات .

والعدو ، حتى وهو في اقصى حالات اندفاعه التمويهي لاثبات صدق نواياه في السلام ! نجده لا يخفي استعداداته المستمرة من اجل حرب محتملة . ففي تصريح ادلى به رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية العليا في تل ابيب في الاحتياط اهارون ياريف اكد ان « الدولة العبرية ستواجه مخاطر امنية بسبب عمليات (ارهابية) تقوم بها عناصر غير منضبطة انطلاقا من اراضي الدول المجاورة » . وبين ياريف حكمه ذلك على توقع احد الاحتمالات التالية (حتى بعد توقيع اتفاق سلام) : هجوم عام من جانب الدول العربية او هجوم تشنه احدى الدول المجاورة ، او حرب استنزاف لانهاك اقتصاد « اسرائيل » ، او الغاء معاهدة السلام من جانب احد جيران « اسرائيل » .

وبغض النظر عن مدى صدق مثل هذه الاحتمالات ودون التعويل كثيرا على احتمال اندلاع حرب تشنها احدى الدول المجاورة ، فما يهمنا هنا هو ان العدو لا يبني استراتيجيته على اساس السلام وانما على اساس الحرب حتى وهو يحصل على المزيد من التنازلات من الطرف او الاطراف العربية ذلك انه امام الموقف العربي المستسلم نسمع بيغن يكرر « ان الرئيس انور السادات يريد السلام وفق شروطه التي تتضمن مطلبا بانسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ١٩٦٧ » ويعتبر هذا المطلب « تدمير لاسرائيل » .

ولكي يستطيع كل طرف وبالتحديد السادات النجاح في مخططه ، والوصول الى اهدافه ، لا بد من اشعال مواقع اخرى تلفت نظر الرأي العام العربي ، وتبعده عن رؤية المخاطر المحدقة به ، والمؤامرات التي تحاك ضده .

ولذا فليس من المستغرب ان ترى ازدياد الاقتتال داخل الثورة الفلسطينية ، التي اصبح سمة غالبة في نشاطات العديد من منظماتها ، والذي لا يستفيد منه بغض النظر عن دوافعه الا العدو الصهيوني والرجعية العربية والدوائر الامبريالية . فبالقدر الذي تنشغل به الثورة الفلسطينية بمعارك داخلية ، وتستنزف طاقاتها في حرب بين اجنحتها المختلفة تبعد البنادق عن العدو الصهيوني ، وتحرفها عن الطريق الصحيح .

من هنا ، تبقى الوحدة الفلسطينية مطلبا استراتيجيا مهما ينبغي استمرار المطالبة به والنضال من اجل تحقيقه ونقله الى حيز الواقع والفعل .